

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٠٩ : خ ١ - العلم - التطبيقات العملية للعلم ، خ ٢ - الساعة البيولوجية لدى الإنسان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٧-٢٣

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، و نستعين به و نسترشد به، و نعوذ به من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له و من يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، و إرغاماً لمن جد به و كفر، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه و سلم رسول الله سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر و أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلّم و بارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، و أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، و ارزقنا اجتنابه، و أجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### العلم إمام العمل و قائد له :

أيها الأخوة المؤمنون؛ كنا في موضوع العلم المتسلسل، و كنت أظن أن الموضوع قد انتهى، و لكن رأيت من المناسب أن ينتهي هذا الموضوع بالتطبيقات العملية لموضوع العلم.  
يا أيها الأخوة الكرام ؛ العلم إمام العمل، و قائد له، و العمل تابع له و موتّم به، من عبد الله بغير علمٍ كان ما يُفسد أكثر مما يصلح، و العامل بلا علم كالسائل بلا دليل، و من فارق الدليل ضلّ السبيل، و لا دليل إلا بما جاء به النبي عليه الصلاة و السلام، و إن قوماً طلبوا العبادة و تركوا العلم فخرجوا بأسيافهم على أمّة محمد صلّى الله عليه و سلم.

مرتبة العلم: هو الدليل المرشد و المطاع المتبوع، و العلم أيها الأخوة هو الذي يبيّن الحق من الباطل في الاعتقادات، و الصواب من الخطأ في المقولات، و المسنون من المبتدع في العبادات، و الحلال من الحرام في التصرفات، و الصحيح من الفاسد في المعاملات، و الفضيلة من الرذيلة في السلوكيات، و المقبول من المردود في المعايير، و الراجح من المرجوح في الأقوال و الأفعال، و من دون العلم - دقّعوا أيها الأخوة - يمكن أن يعتقد المرء الباطل وهو يحسبه حقاً، و يمكن أن يرتكب البدعة و يظنها سنةً، و يمكن أن يتورّط في الحرام وهو يتوهّم حلالاً، و يمكن أن يسقط في حماة الرذيلة و هو يتصرّف بها فضيلة، لذلك كان دعاء النبي صلّى الله عليه و سلم: **(اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه)**

[ورد في الآخر]

لماذا نطلب العلم؟ حتى لا يكون المرأة من زين له سوء عمله فرأه حسناً، قال تعالى:

**﴿قُلْ هُلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**

[سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤]

سيدنا عمر بن عبد العزيز قال: "من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح". و ابن وهب يقول: "كنتُ بين يدي مالك بن أنس فوضعتُ الواحي، وقمتُ إلى الصلاة - إلى صلاة النافلة - فقال مالك بن أنس - وهو إمام دار الهجرة - ليس ما قمتَ إليه بأفضل من الذي تركته".

يا أيها الأخوة الكرام ؛ دققوا في هذا القول: ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل، فسأل أحدهم: هل تعرف شيئاً أشدَّ من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل.

أن يكون الإنسان جاهلاً و لا يدرى أنه جاهل، أو أن يكون المرأة جاهلاً و يظنُ أنه متعلم، وأفضل ما أطيع الله به تعالى العلم، و رأس العلم العلم بالعلم: "الناسُ أربعة؛ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَهَذَا عَالِمٌ فَاتَّبَعُوهُ، وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَهَذَا نَاطِمٌ فَأَيْقُظُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَهَذَا جَاهِلٌ فَعَلَمُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَهَذَا أَحْمَقٌ فَاجْتَبِبُوهُ".

## الجهلاء عبادتهم عادات و العلماء عاداتهم عبادات :

أيها الأخوة الكرام، الجهلاء عبادتهم عادات، و العلماء عاداتهم عبادات، و قال بعضهم: "جَبَّا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَفِطْرُهُمْ يَسْبِقُونَ بِهِ سَهْرَ الْحَمْقِي وَصَوْمَهُمْ" فالمحب طالب العلم إن نطق الله وبالله، و إن سكتَ سكتَ الله، و إن تحرك فبأمر الله، و إن سكن فسكنه استعانته على مرضاة الله، فهو الله و بالله و مع الله.

أيها الأخوة الكرام ؛ من لم يطلب العلم لم يفلح، و قد سُئلَ أحدهم: من السفلة؟ فقال: من لا يعرف الطريق إلى الله، يؤكّد هذا قولُ الله عز وجل:

**﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ﴾**

[سورة البقرة: ١٣٠]

لو نظرتم إلى الرجل و قد أُعطي من الكرامات حتى أنه تربع في الهواء فلا تغترّوا به حتى تنتظروا كيف تجدونه عند الأمر و النهي، و حفظ الحدود و معرفة الشريعة، و من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه، و لا دليل على الطريق إلا متابعة النبي عليه الصلاة و السلام في أقواله و أفعاله.

أيها الأخوة الكرام ؛ قال بعضهم: "ذهب العلم على أيدي أربعة؛ صنف لا يعلمون بما يعلمون، و صنف يعلمون بما لا يعلمون، و صنف لا يعلمون ولا يعلمون، و صنف يمنعون الناس من العلم".

١ - أن يبذل فيه جهده حتى يحكمه و يتقنه و يهضمه :

هذه مقدمة و لكن أحد الأخوة الحاضرين طلب العلم فهو على شيء من العلم، ما حق العلم عليه؟ ستة حقوق ؛ هو موضوع الخطبة، حقوق العلم على صاحبه، إذا سمح الله لك أن تطلب العلم، إذا بسر لك طلب العلم، إذا أسمعك الحق، فما حق العلم عليك؟ أول حق أيها الأخوة أن يبذل فيه جهده حتى يحكمه و يتقنه و يهضمه، و ينتقل به من مرتبة الحفظ إلى مرتبة العلم، من مرتبة العلم إلى مرتبة الفقه، بالمعنى القرآني و النبوي، لا بالمعنى الاصطلاحي، و الفقه بهذا المعنى أيها الأخوة هو أحسن من العلم، هو الفهم و القطن و حسن الإدراك، الفقيه لا يقف عند الظواهر، بل يغوص في المقاصد، لا تشغله الألفاظ عما وراءها من المعاني، لا تغرقه الجزئيات فينسى الكليات، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيُنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾

[سورة التوبه: ١٢٢]

وفي الحديث الصحيح، قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولكن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله))

[البخاري عن حميد بن عبد الرحمن]

الفقه في الدين أعلى من العلم في الدين، بالمفهوم القرآني النبوي، لا بالمعنى الاصطلاحي، الفقه في الدين أن تنتقل من الرواية إلى الدرائية، من الحفظ إلى الفهم، ليس العلم بكثرة الرواية، و لكن نور يقذفه الله في القلب، يقول عليه الصلاة و السلام، عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((نصر الله امراً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه و رب حامل فقه ليس بفقيه))

[أبو داود عن زيد بن ثابت]

و قد قال الله عز وجل عن بنى إسرائيل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة: ٥]

مهما حمل الحمارُ من النفائسِ، وَمَنْ كَتَبَ لَا يَفْقَهُ مِنْهَا شَيْئاً، هَذَا الْوَاجِبُ الْأَوَّلُ، أَنْ تَقْنَىُ الْعِلْمَ،  
الْعِلْمُ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ إِلَّا إِذَا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ، فَإِذَا أَعْطَيْتَهُ بَعْضَكَ لَمْ يُعْطِكَ شَيْئاً، وَيَظْلِمُ الْمَرءُ عَالَمًا  
مَا طَلَبَ الْعِلْمَ، فَإِذَا طَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ.

## ٢ - أن يرقى طالبُ العلم عن التقليد الأعمى إلى الفهم المستقل :

أيها الأخوة الكرام ؛ الحق الثاني للعلم على صاحبه، الحق الأول أن تتقنه، أن تعطيه مدة وقتك،  
أن تحكم فهمه، الحق الثاني، يجب أن يرقى طالبُ العلم عن التقليد الأعمى، إلى الفهم المستقلِّ، أن  
يفكر برأسه هو، لا برأس غيره، حيّا كان أو ميتاً، عن عليٍّ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ  
(بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً وَأَمْرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ  
فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ أَلِيْسَ قَدْ أَمْرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ قَدْ  
عَزَّمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا فَأَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا هَمُوا  
بِالدُّخُولِ فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَيْ بَعْضٍ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا تَبَعَّنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَارًا  
مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا فَبَيْنَمَا هُمْ ذَلِكَ إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ وَسَكَنَ غَصْبُهُ فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَقَالَ لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبْدًا إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

[البخاري عن علي]

لا تقلِّد تقليداً أعمى، لا تقل: فلان قال كذا، طالبه بالدليل، لا تقبل شيئاً من دون دليل، و لا  
ترفض شيئاً من دون دليل، قال تعالى:  
**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بِلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ أَبَاعَنَا أَوْلُو كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ  
شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**

[سورة البقرة: ١٧٠]

وقال تعالى:

**﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَ﴾**

[سورة الأحزاب: ٦٧]

تعريف التقليد إليها الأخوة أن تأخذ قولَ الغير بغير حجَّةٍ، وَأَنْ تُؤْيِدَهُ مِنْ دُونِ دَلِيلٍ، إِلَّا أَنْ اتَّبَاعُ  
الْوَحْيِ، أَوْ اتَّبَاعُ الْوَحْيَيْنِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَيْسَا بِتَقْلِيدٍ فِي شَيْءٍ، لَأَنَّ الْوَحْيَيْنِ هُمَا بِحَدِّ ذَاتِهِمَا دَلِيلٌ،  
هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْثَانِي، أَنْ تَنْتَرِقَ عَنِ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، حَقُّ الْعِلْمِ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَىَهُ وَحَقُّ الْعِلْمِ عَلَيْكَ أَنْ  
تَدْعُ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى، وَأَنْ تَكُونَ مَعْلُومَاتُكَ مَعَ الْأَدَلَّةِ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحةِ.

## ٣ - العملُ بالعلم :

وَالْحَقُّ الْثَالِثُ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ بِالْعِبَادَاتِ يَقْتَضِي أَنْ تُؤْدِيَهَا عَلَى وَجْهِهَا، مَسْتُوْفِيَّةً شَرْوَطَهَا وَ  
أَرْكَانَهَا، خَالِصَةً لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعِلْمُ بِالْمَعَالِمَاتِ يَقْتَضِي أَنْ يَقْوِمَ بِهَا الْمَرءُ فِي حَدُودِ الْحَالَلِ

بعيداً عن الحرام، و العلم بالأخلاق يقتضي أن يتحلى بفضائلها، و يتخلى عن رذائلها، و العلم بطريق الآخرة يقتضي أن تُعد لآخرة عُذْتها، و تسعى إليها سعيها، و العلم عندك حجة لك، لا عليك، و المرأة يوم القيمة يُسأل عن علمه ماذا عمل به، فقد قال عليه الصلاة و السلام عن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(لَا تَرُوْلُ قَدْمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْنَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا وَضَعَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ)

[الدارمي عن معاذ بن جبل]

دققاً أيها الأخوة، ألف رجل لا يطبقون العلم لا يؤثرون و لا بواحد، بينما واحد مطبق للعلم يؤثّر في ألف رجل، حال رجل في ألف أبلغ من مقالة ألف في واحد، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُّرُ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الصاف: ٣-٤]

قيل لأسامة:

((لَوْ أَتَيْتَ فُلَانًا فَكَلَمْتَهُ قَالَ إِنْكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لَا أَكْلِمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ إِنِّي أَكْلِمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوْلَى مَنْ فَتَحَهُ وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمْرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُهُ - أَيْ أَمْعَاوَهُ - فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحَمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ قُلَّانُ مَا شَانَكَ أَلِيُّسْ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ))

[البخاري عن أسامة]

أيها الأخوة الكرام ؛ هذا الحق الثالث، حق العلم عليك أن تعمل به، حق العلم عليك أن تتقنه، أن تعطيه وقتك، و أن تعطيه اهتمامك، حق العلم عليك ألا تقلي تقليداً أعمى، فتعطل عقلك، و تعطل الدليل، حق العلم عليك أن تعمل به.

#### ٤ – أن تعلّمه و تنشره :

أما الحق الذي ترقى عند الله به فأأن تعلّمه وأن تنشره، من حق العلم على المتعلم أن يعلّمه للآخرين، لكل نعمة زكاة، و زكاة المال أن تنفق من المال، و زكاة الوقت أن تنفق من الوقت، و زكاة العلم أن تنفق من العلم، يا بني العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك و أنت تحرس المال، و المال تنقصه النفقة، و العلم يزكي على الإنفاق.

#### الخيرية المطلقة تكون لمن تعلّم القرآن و علمه :

أيها الأخوة الكرام ؛ يقول الله عز وجل:

﴿وَلَكُنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرِسُونَ﴾

[سورة آل عمران: ٢٩]

من هو الربّاني؟ هو الذي يعلم الكتاب، هو الذي يفيض على الآخرين، هو الذي يحمل هموم المسلمين، هو الذي يسهم في هداية إنسان :

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة المائدة: ٣٢]

روي عن المسيح عليه السلام أنه: "من علم و عمل و علم يُدعى عظيمًا في ملوك السموات والأرض" ، وفي الحديث الصحيح عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ)

[البخاري عن عثمان]

الخيرية المطلقة من تعلم القرآن و علمه، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَجَاهَهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان: ٥٢]

و الهاء تعود على القرآن، أن تتعلم القرآن و تعلمه فأنت من المجاهدين الكبار. أيها الأخوة الكرام ؛ يقول الله عز وجل:

﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَمَ الْقُرْآنَ﴾

[سورة الرحمن: ١-٢]

ف والله جل جلاله هو المعلم الأول، علم خلقه، و علم الإنسان البيان، كي يتعلم بالبيان من معلميه، و كي يعلم بالبيان لمن يجهل هذا العلم :

﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾

[سورة الرحمن: ٤-١]

قال تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُنُوا تَعْلَمُونَ \* فَإِذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكُفُرُونِ﴾

[سورة البقرة: ١٥١-١٥٢]

## نوصوص من السنة تحضّنا على تعليم العلم :

وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أفضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وأئنته وأهل السماء والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ))

[الترمذى عن أبي أمامة]

مسافة كبيرة جداً بين مقام رسول الله و بين مقام أدنى مؤمن هي نفس المسافة بين من يعبد الله وبين من يعلم الناس، إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، و حتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير. وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((لَا حَسْدَ إِلَّا فِي الشَّتَّانِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَمْ فَسُطِّعْ عَلَى هُلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بلغوا عني ولو آية وحدثوا عنبني إسرائيل ولما حرج ومن كذب على متعينا فليتبوا مقدمة من النار))

[البخاري عن عبد الله بن عمرو]

وأن تبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فرض عين. وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((نصر الله امراً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أو عى من سامعاً ))

[الترمذى عن عبد الله بن مسعود]

وفي حديث آخر، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نصر الله امراً سمع مقالتي فبلغها رب حامل فقهه غير فقيه ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه زاد فيه))

[بن ماجه عن زيد بن ثابت]

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه نصوص من الكتاب و السنة تحضنا على تعليم العلم، و تعليم العلم فرض عين في حدود ما تعلم و من تعرف يقول عليه الصلاة و السلام، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً))

[مسلم عن أبي هريرة]

والحديث الذي تعرفونه جميعاً عن عمرو بن تغلب:

((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أو سبي فقسمه فأعطي رجالاً، وترك رجالاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا فحمد الله ثم أشنى عليه ثم قال: أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحبه إلى من الذي أعطي ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير فيهم عمرو بن تغلب فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم ))

[البخاري عن عمرو بن تغلب]

قال النبي عليه الصلاة و السلام مردداً:

((على خلفائي رحمة الله، قيل: ومن خلفائك يا رسول الله ؟ قال: الذين يحيون سنتي من بعدي و يعلمونها عباد الله))

[ابن عساكر عن الحسن بن علي]

وعن عطاء قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك ؟ قال: ليس أحد يسألني عن شيء، أي إن لم يعلم الناس يرى نفسه خاسراً، والإمام الحسن يقول: "لولا العلم لصار الناس كالبهائم"

هذا هو الحق الرابع إليها الأخوة، أن تعلّمه، أن تتقنه، أن تبتعد به عن التقليد الأعمى، أن تعمل به، وأن تعلّمه.

## ٥ – وجوب بيانه وتحريم كتمانه :

و الحق الخامس من حقوق العلم على صاحبه وجوب بيانه وتحريم كتمانه، قال تعالى:  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَكْعَفُهُمُ اللَّهُ وَيَكْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾

[سورة البقرة: ١٥٩]

أنت في موقف، لهذا الموقف حكم شرعي تعرفه، ويخوض الناس بأهوائهم، وتبقي ساكتاً، وبإمكانك أن تقول الحق و لا شيء عليك، كبيرة من الكبائر كتمان العلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من سئل عن علم علمه ثم كتمه الج يوم القيمة بلجام من نار))

[الترمذني عن أبي هريرة]

## ٦ – أن يقف طالب العلم عند حدود علمه و لا يتطاول إلى ما ليس من شأنه :

أيها الأخوة الكرام ؛ الحق السادس، أن يقف طالب العلم عند حدود علمه، و لا يتطاول إلى ما ليس من شأنه، كمن يبحث في كنه الذات الإلهية، قال تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٥]

هذا تطاول، هذه من رعونة العلم، أن يبحث في الغيب المطلق الذي استأثر بعلمه وحده، أن يبحث عن علم الساعة التي لا يعلمها إلا الله، أو أن تقول: الله لا يعلم مستبطاً بعض الاستنباطات المضحك، حينما تبحث في ذات الله بعقلك فقد تطاولت على رب العزة.

أيها الأخوة الكرام ؛ من آداب العلم أن الإنسان إذا سئل عما لا يعلم يجب أن يقول: لا أعلم بملء فمه، دون أن يستحي، فليس في العلم كبير، وفوق كل ذي علم عظيم، و ليس هناك إنسان أحاط بكل شيء علمًا.

## المجنون من يفتى الناس في كل ما يستفتوه :

أيها الأخوة الكرام، من شأن البشر أن يعلم الإنسان شيئاً و تغيب عنه أشياء:  
قل لمن يدعى في العلم فلسفه حفظت شيئاً و غابت عنك أشياء

\*\*\*

إن الذي يفتى الناس في كل ما يستفتوه لمجنون، من قال: لا أدرى فقد أجاب، و من أخطأ قول لا أدرى أصيّبت مقاتله، الإمام أحمد بن حنبل جاءه و قد من بلاد الأندلس، معهم ثلاثة و ثلاثة سؤالاً، فأجاب عن سبعة عشر، قطعوا إليه أشهراً، فقالوا: و الباقي؟ قال: لا أدرى، قالوا: الإمام أحمد بن حنبل لا يدرى ! قال: قولوا لهم: الإمام أحمد بن حنبل لا يدرى "، لا يدرى وسام شرف، هذا الذي يدعى أنه يعلم كل شيء، لا يعلم شيئاً، هو يدخل بعضهم أراد أن يستفتي رجلاً فقال: لا أدرى، فلما أخذ عليه مأخذًا قال: أتريد أن تتخذ ظهري جسراً إلى النار؟ أتريد أن تتخذ ظهري من خلال فتواي جسراً إلى النار؟

## من استباح حمى الشريعة كان إثمها عظيماً :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من تعليق دقيق، هناك من استباح حمى الشريعة، و أمسى يحلّ ويحرّم، و يوجب و يسقط، و يبدع و يفسق، بل يكفر بمجرد أنه قرأ بعض الكتب لبعض العلماء، و لم يتقن أدوات العلم، و لم يملك مفاتيح العلم، و مع هذا فقد أفتى في المسائل العويسقة، و حكم في أغمض القضايا، و اعترض على أكبر العلماء، و طعن في أئمة المذاهب، و ساوي رأسه مع رؤوس الصحابة و التابعين، و قال قائلهم: هم رجال و نحن رجال، و هذا هو الذي يؤدي إلى ضياع الدين و خراب الدنيا، عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ اِنْتَزَاعًا يُنْتَزَعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَكَنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعَلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِيْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُعُوسًا جُهَّالًا فَسُلِّمُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا))

[البخاري عن عبد الله بن عمر بن العاص]

أيها الأخوة الكرام ؛ من أفتى بغير علم كان إثمه عظيماً، و من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه، وهناك إفتاء بغير علم، و هذا إثم كبير، وهناك - و العياذ بالله - من يفتى بغير ما تعلم ، النبي عليه الصلاة و السلام عَنْ هؤلاء الذين أفتوا بغير علم، فعن جابر قال:

((جَنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَ حَاجَرَ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هُلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَنْدَرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ قَتَّلُوهُ قَتَّلُوهُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا

**شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ شَكَّ مُوسَى عَلَى جُرْحِهِ خَرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ**

[رواوه أبو داود عن جابر]

رجل أصابته الجنابة في يوم بارد فسأل فأجيب إجابة غير صحيحة، فاغتسل فمات، فقال عليه الصلاة والسلام:

**(فَتَأْوِهُ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ)**

[رواوه أبو داود عن جابر]

## قضية العلم قضية مصريرية :

أيها الأخوة الكرام ؛ قضية العلم قضية مصريرية، لأن العمل مبنيٌ عليه، وسلامتك وسعادتك من عملك، قال تعالى:

**﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

[سورة النحل : ٣٢]

قال تعالى:

**﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ﴾**

[سورة الملك: ١٠]

أيها الأخوة الكرام ؛ أنت حينما تطلب العلم، وحينما تتقنه، وحينما تبتعد عن التقليد الأعمى، وحينما تعمل به، وحينما تنشره، وحينما تبتعد عن كتمانه، وحينما تعرف حذرك فتفق عنده فقد أديت حقوق العلم عليك.

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

\* \* \*

## الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالـحـين، وأـشـهـدـ أنـ سـيـدـنـاـ مـحـمـداـ عـبـدـهـ وـرـسـولـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

## الساعة البيولوجية لدى الإنسان :

أيها الأخوة الكرام، قد يأتي آخر من بلاد بعيدة، فيقول: لا زلت في يومين مضطرباً، ليلاً نهاراً، ونهاري ليلاً، فإذا عاد إلى بلده يبقى يومين مضطرباً، يكون نهاره ليلاً وليله نهاراً، ما تفسير هذا علمياً ؟ قال العلماء: الإنسان في النهار يزداد استهلاكه للطاقة، والإنسان في النهار ترتفع

درجة حرارته نصف درجة عن المعدل الوسطي، و في الليل تنخفض نصف درجة عن المعدل الوسطي، و في النهار تزداد ضربات قلبه من عشر إلى عشرين ضربة في الدقيقة، و في النهار يزداد إدرارُ البول من ضعفين إلى أربعة أضعاف عنه في الليل، و في النهار يزداد نشاطُ الدماغ و يضعف في الليل، و في النهار تزداد كراتُ الدم البيضاء عنها في الليل، و يزداد استهلاك السكر ثلاثة بالمئة عنه في الليل، و في الليل يزداد هرمونُ النمو و هرمون الإخصاب، أنت بعقلك تعرف أن هذا الوقت نهار، و هذا الوقت ليل، هذه الأنسجة و تلك الخلايا، و هذه الأعضاء و تلك الأجهزة من يعلمها أن الوقت ليل أو نهار حتى تعمل وفق هذا التنظيم؟

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك ما يسمى في جسم الإنسان بالساعة البيولوجية، وهناك مجموعة من الخلايا إلى جانب الغدة النخامية، هذه تستشعر ضوء الشمس الذي يسقط على قاع الشبكية، إذا استشعر ضوء الشمس وسقط على قاع الشبكية هذا المركز الذي إلى جانب الغدة النخامية هو الذي يعلم بقية الأجهزة أن الوقت نهار فترتفع ضرباتُ القلب و يزداد استهلاكُ الطاقة و ترتفع نسبة السكر المحروق إلى آخره، فهذا المركز اسمه ساعة الرأس البيولوجية، فالإنسان إذا سافر إلى طرف الدنيا الآخر ماذا يحصل؟ يصبح الليل نهاراً و النهار ليلاً، فإلى أن تُبرمج هذه الساعة مرة جديدة ينام في النهار و يستيقظ في الليل.

أيها الأخوة الكرام ؛ قال تعالى:

﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[سورة النمل: ٨٨]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ \* أَيْحَسْبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾

[سورة التين: ٤-٥]

إن لم يعرف الله، إن تاه في الأرض، و إن ارتكب المعاصي و الآثام.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ﴾

[سورة التين: ٤]

فإذا لم يقدر هذه النعمة رُدَّ إلى أسفل السافلين.

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات: ٢١]

و الله الذي لا إله إلا هو لو أمضينا كلَّ عمرنا في الآيات الدالة على عظمة الله في أجسامنا فقط لكتنا هذه الآيات تعريفاً بالله و تعظيمًا له و انقياداً لأمره.

الدعاء :

أيها الأخوة الكرام، اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافينا فيمن عافت، و تولنا فيمن توليت، و بارك لنا فيما أعطيت، و قنا واصرف عنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضي و لا يقضى عليك، و إنه لا يذلُّ

من وليت، و لا يعز من عاديت، تبارك ربنا و تعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك و  
نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا لا تحرمنا، أكرمنا و لا تهنا، آثرنا  
و لا تؤثر علينا، أرضنا و أرضنا عننا، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلح لنا دينانا  
التي فيها معاشرنا، و أصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، و  
اجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك، و  
بطاعتك عن معصيتك، و بفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك، و لا تهلك عنا ستراك، و لا  
تنسى ذرك يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء، و من شماتة الأعداء، و من  
السلب بعد العطاء، نعوذ بك من الذل إلا لك، و من الخوف إلا منك، و من الفقر إلا إليك، اللهم  
كما أقررت أعينَ أهل الدنيا بدنياهم فأقرِّرْ أعيننا من رضوانك يا رب العالمين، اللهم ما رزقتنا  
مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب، و ما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب، يا رب  
العالمين، اللهم صنْ وجوهنا باليسار، و لا تبذلها بالإفتار، فسأل شر خلقك، و نُبُلَّ بحمد من  
أعطى و نُمِّ من منع، و أنت من فوقهم ولهم العطاء، و بيده وحدك خزائن الأرض و السماء،  
الله يا رب العالمين أعلِّ كلمة الحق و الدين، و انصر الإسلام، و أعز المسلمين، و خذ بيده  
ولاتهم إلى ما تحب و ترضى، إنك على ما تشاء قادر، و بالإجابة جدير.

**والحمد لله رب العالمين**